نساء في الإسلام

* * *

أسْماءُ بنتُ يَزيد

رَضِيَ اللَّهُ عَنها

نجلاء شوقي حسن

أسْماءُ بنتُ يَزيد

رضِيَ اللّهُ عَنها

شَعرتْ إيمانُ بالفَخرِ والسُّرور ، عِندَما أبلغَتْها مُديرَةُ المَدرَسةِ ، نبأَ اخْتِيارِها لإلقاءِ كَلمَةِ حَفلِ مَجلِسِ الآباء ، الّذى سيُقامُ الأسبوعَ ، التّالى ، نِيابَةً عن الطالِبات .

خَرجتْ إيمانُ من حُجرةِ مُديرَةِ المَدرَسة ، وأَسرعَتْ إلى مُعلّمَتِها وزَميلاتِها ، تُخبِرُهنّ بالأمر . فقالَتِ المُعلّمَة :

ـ إنّكِ يا إيمانُ طالِبةٌ مُمتازَة ، وخيرُ من يَقومُ بهذه المُهِمَّة .

وقالَتِ الطّالِباتُ فى سُرور :

ـ ألَمْ تَحتَرْكِ يا إيمانُ دائمًا لإلْقاءِ كَلِمَةِ الصَّباح ؟

قالتْ إيمان : إنَّنى سَعيدَةٌ بثِقَتِكُنَّ وحُبِّكُنَّ لى .

وقالتْ المُعلِّمَة : تذكّرى يا إيمانُ العَدَد الجَديدَ من الصَّحيفَةِ المَدرَسِيَّة أرجو أن تَنَتَهى مِنهُ قَريبا .

قالتْ إيمان : لقد أعْدَدتُه ، و يَعُد ينقُصُه إلاّ قِصَّةُ العَدَد .

قالتْ المُعلِّمَة : حَسَنا ، أمامَكِ يا إيمانُ ثلاثَةُ أيّامٍ لإحْضارِها .

لّما عادتْ إيمانُ إلَى البَيْت ، أخْبرتْ أُمَّها بما حَدَث ، فقالَتْ أُمُّها فى سُرور : إنَّ اخْتِيارَهُم لكِ إنّما هو نَتيجَةٌ لنَشاطِكِ واجْتِهادِكِ وحُسنِ تَصرُّفِك ، وهذا هو رأْىُ إخْوَتكِ أيْضا .

قالتْ إيمانُ فى اسْتِحياء : هل يُمكِنُ أن أَطلُبَ منكِ شَيْئًا يا أُمّى ؟ أقصِدُ مُساعَدةً ضَرورِيَّة .

قالتْ أُمُّها : أىَّ نَوعٍ من المُساعَدةِ تَطلُبين ؟ إنْ كانتْ مُساعدَةً مالِيَّة ، فاقْبلى اعْتِذارى منَ الآن . أمّا إن كانَتْ شيئًا آخرَ مهما

تكنْ ، فأنا مُستعِدَّة .

قالتْ إيمان : اطْمَئِنّى يا أُمّى ، فهى غيرُ مالِيَّة . كلُّ ما هُنالِك أنّى أُعدُّ مِجلّةَ الحائطِ للمَدرَسة ، وقد اكْتملتْ كُلُّها ما عَدا قِصَّةَ العَدد ، وقد رأيتُ أن أجعلَ موضوعَ القِصَّةِ جِهادَ المَرأَةِ فى الإسْلام ، ولذلكَ أحتاجُ إلى مُساعَدتِك .

قالتْ أُمُّها : هذه فِكرَةٌ طَيِّبة . ومتَى تُريدينَ أنْ أُحدِّثَكِ فى مَوضوعِ هذه القِصَّة ؟

قالَت إيمان : الآنَ إن أمكنَ يا أُمّى ، حتّى أطمَئنَّ أن تكونَ المِجَلّةُ جاهِزَةً فى مَوعِدِها .

قالتْ أمُّهـا : حَسَـنا ، فاسْتَعِدّى بالكُرّاسَـةِ والقَلَـم ، فسَـتكونُ قِصَّـةُ العَـددِ عـن خَطيبَـةِ النِّساء « أسماءِ بنتِ زَيْد » .

قالَت إيمـانُ فـى سُـرور : خَطيبَـةُ النِّسـاء ! هـذا رائـعٌ يـا أُمّـى ، فقـد كنـتُ أبحـثُ عـن مَراجِعَ هَذهِ الشَّخصِيَّةِ العَظيمَة .

قالتْ أُمُّها : اكتُبى يا ابْنَتى :

قدَّمتِ المَـرأةُ المُسـلِمة ، أروعَ الأمْثالِ فـى البُطولَةِ والفِداء . فغَيَّرتْ بِبُطولاتِها النّـادِرة ، الّتى فاقتْ بُطولاتِ الكَثيرِ منَ الرِّجال ، وجهَ التّاريخ .

وهذهِ المرأةُ بَطلةُ قِصَّتِنا ، هى أسْماءُ بنتُ يَزيدِ بنِ السَّكَن ، قدِمتْ فى السَّنةِ الأولَى من الهِجرَةِ مع وفدِ النِّساء ، يُبايِعنَ الرَّسولَ ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ على الدُّخولِ فى الإسْلام ، والوُقوفِ بجانِبه فى دَعوتهِ إلى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ .

وقالتْ ـ رضِىَ اللَّهُ عنها ـ عن هذه البَيْعة : بايَعَ النِّساءُ رسولَ اللَّه ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ فأخذَ عَليهِن ، ألاَّ يُشرِكنَ باللَّهِ شَيئا ، ولا يَسرِقْنَ ، ولا يَزنين ، ولا يَقتُلنَ أوْلادَهُنَّ .

وكانتْ مُبايَعــةُ السَّيدَةِ أسْماءَ بنـتِ يَزيـد للرَّسـول ، مُبايَعةَ صِدق وإخْــلاص . وقـد رَوتْ كُتبُ السِّـيرَة ، أنَّهـا كـانتْ تَضـعُ فـى رُسغَيْها سِوارَينِ كَبيرَينِ مـن الذَّهَـب ، فقـالَ لها النَّبىّ ـ صلّـى اللّـهُ عليـه وسـلّم ـ ألقـى السِّوارَينِ يا أسْماء . أما تَخـافينَ أن يُسـوِّرَكِ اللّهُ بأساوِرَ من نار ؟

ولـم تتردَّدْ أسْماءُ بنتُ يَزيد ، بل أسْـرَعتْ ونَزعتِ السِّوارَين ، وألقَتْ بِهما أمامَ رَسـولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ .

وأقبَلتْ بعد ذلك لتَسمعَ أحادِيثَهُ الشَّريفَة ،

فكانتْ تَسألُ عن دَقائقِ الأُمور ، الّتى تَتعلّـقُ بقَضايا الإسْلام . حتّى بَلغتْ فى الفِقهِ مكانَـةً عالِيَة ، فكانتِ النّساءُ يُرسِلنها إلى الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ لتَنوبَ عَنهُنَّ عِندَه .

وقد أتَتهُ ذاتَ مرَّةٍ فقالَت له :

ـ يا رَسولَ اللّه ، إنّى رَسولٌ مـن جَماعَةِ نِساءِ المُسلِمينَ إلَيك ، فكلُّهـنَّ يَقلـنَ بقَـولى . وقد بَعثَكَ اللّـهُ إلى الرِّجـالِ والنّسـاء ، فآمَنّـا بكَ واتّبعْناك . ونَحنُ مَعشَرَ النّسـاءِ لا حيلَـةَ لَنا قواعِدُ بُيوت . وأنَّ الرِّجالَ فُضِّلـوا عَلينـا بالجُمعات ، وشُهودِ الجَنائِز ، والجِهـاد . وإذا

خَرجوا للجِهادِ حَفظْنا لَهم أمْوالَهم ، وربَّينا لهم أوْلادَهم ، أفتُشارِكُهُم في الأجْرِ يا رَسولَ اللّه ؟

وهُنا نَظرَ رَسولُ اللّه - صلّى اللّهُ عليه وسلّم - إِلَى أصْحابِه فقال :

- هل سَمِعتُم مَقالةَ امْرأَة ، أحسنَ سُؤلاً عن دينِها من هذه ؟

فقالَ الصّحابةُ - رضوانُ اللّهِ عَليهم - : لا يا رَسولَ اللّه .

فقال - صلّى اللّهُ عليه وسلّم - : انْصَرِفي يا أسْماء ، وأَعلِمي منْ وَراءَكِ منَ النّساء ،

أنَّ حُسنَ مُصاحَبةِ إحْداكُـنَّ لزَوجِها وطَلبِها لَمرضاتِه ، واتّباعِها لُموافَقتِه ، يَعدلُ كلَّ ما ذَكَرتُ للرِّجال .

بهذا علَّمَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلَّم ـ أسْماءَ وسائرَ النِّساءِ المُسلِمات ، بحُقوقِ الزَّوجِ العَظيمَةِ عَليهِنَّ ، وما أوجَبَه الإسْلامُ علَى النِّساءِ من طاعَتِه ، والعَملِ على راحَتِه .

ورَجعتْ أسماءُ بعدَ سماعِها هذه البُشرَى منَ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ إلى النِّساء وهِيَ تُهلّلُ وتُكبّر ، وتحمَدُ اللّه .

كانتْ السَّيدَةُ أسْماءُ من الخَطيباتِ البَليغات ، اللّاتى يُجِدنَ نظمَ الكَلامِ والتّصرُّفِ فى مَعانيه . ولذلكَ فقد كانَ يُقال لها خَطيبَةَ النّساء ، وكانتْ تُحسِنُ الحِوار ، ولذلكَ فقد اختارَها النّساءُ المُسلِماتُ لتُعبِّرَ عمّا فى نُفوسِهِنّ ، أمامَ أكرَمِ خَلقِ اللّه .

* * *

فى معركَةِ اليَرموك ، كانتِ المَرأةُ المُسلِمةُ تُشارِكُ فى القِتال ، وذلك لأنَّ المَعركَةَ كانتْ عَصيبَةً لِلغايَة . فقد جعلَ خالدُ بنُ الوَليدِ النّساءَ المُسلِماتِ فى الخَلْف وفى المُؤخّرَة ،

وأعطاهُنَّ سُيوفا ، وأَمرهُنَّ أن يَقتلْنَ من يُوَلّى هارِبا . وقد قاتلَ نِساءُ المُسلِمينَ فى ذلك اليَوم ، وقَتلنَ خَلفًا كَثيرًا مِنَ الرّوم ، وكُنَّ يَضرِبنَ من انْهزَمَ من المُسلِمين ، ويَقلن :

ـ أينَ تَذهَبون ، وتَترُكونَنا لِلأعْداء ؟

وفى تلكَ المَعرَكة ، خرجَتِ السَّيِّدةُ أسْماءُ بنتُ يَزيدٍ مع الجَيشِ الإسْلامِىّ ، لِتكونَ مع أَخَواتِها خلفَ المُجاهِدين ، للمُعاوَنَةِ والتّأييد وبذلِ قُصارَى جَهدِها ، فكانتْ تُناوِلُ السِّلاح ، وتَسْقى الماء ، وتُضمِّدُ الجِراح ، وتَشُدُّ من عَزمِ المُجاهِدين .

وحَملَتِ السَّيّدةُ أسْماءُ عَمودَ خَيمَة ، وانْطلقَت بَينَ الأعْداءِ تَضرِبُ يَمينًا وشِمالا ، حتّى قتلَتْ وَحدَها تِسعةً منَ الرّوم .

وخَرجتْ أسْماءُ بنتُ يَزيدٍ من المَعركةِ سالِمَة ، وقد أصابَتها بَعضُ الجُروح .

وعاشتْ بعدَ المَعركةِ حَوالَىْ سَبعَةَ عشرَ عاما ، وتُوفِّيت ــ رَحمةُ اللّهِ عَليها ــ فى حَوالِى السَّنةِ الثّلاثينَ للهِجرَة . ماتَت ــ رِضوانُ اللّهِ عَليها ــ ، وقد تَركتْ وراءَها سِيرَةً عَطِرة ، جَديدَةٍ بأنْ يُقتَدَى بها ، ويَتبَعُها كلُّ النّساءِ المُسلِمات ، فهى إلى جانبِ

ثقافَتِها العَظيمَة ، تُحاوِل أن تَعرِفَ ما لَها وما عليها ، لكىْ تَلقَى اللّهَ وهى مُستَوفِيَةٌ شُروطَ الإيمان . هذا بالإضافَةِ إلى دُخولِها العَملِىِّ فى صُفوفِ الجَيش ، كى تُحارِبَ وتُؤدّى دَورَها نحوَ دينِها ، فى بُطولَةٍ وتَفانٍ وإخْلاص .

رَحِمَها اللّهُ رَحمَةً واسِعَة ، وأدخَلَها فَسيحَ جَنّاتِه .